

## مبدأ السلم ونبد النزاع في الإسلام الخصائص والمقومات

الدكتور الزبير درغازي

كلية أصول الدين - تطوان - جامعة عبد المالك السعدي - المغرب

### ملخص البحث

يعتبر الإسلام بما يحمله من مبادئ الأخوة والتعاون والتسامح والعفو وبذل قيم الخير وغيرها من القيم، سباقا لكل الدعوات على مر التاريخ، في تأسيس منظومة متكاملة من القيم المؤسسة للسلم والأمن، وبناء مجتمع تسوده قيم الخير والتعاون الإنساني النبيل. كما يعتبر السلم ودفع النزاع من أهم أهداف الإسلام العامة، ومبادئه الأساسية، ذلك بأن القرآن الكريم يصرح بأن الثمرة المرجوة من الخضوع لله سبحانه وتعالى والإيمان به، هي تحقيق السلام والأمن والطمأنينة في الدنيا والآخرة. وبالتالي فإن الأصل في علاقة المسلم بالمسلم هو الأخوة الإسلامية، وبغير المسلم هو المسالمة والمواذعة والأخوة الإنسانية. وانطلاقا من هذه القاعدة الأصلية، يهدف البحث إلى إبراز المنهج الإسلامي القويم في ترسيخ قيم السلم ونبد النزاع. وكذا بيان القيم الإسلامية في تعامل المسلم مع المخالفين له في الملة والدين.

### الكلمات المفتاحية

السلم - نبد النزاع - الأخوة - الإنسانية

### Abstract:

Islam, with its principles of brotherhood, cooperation, tolerance, forgiveness, and the spread of goodness and other values, is considered a precursor to all religious calls throughout history. It is also considered a precursor in establishing an integrated system of founding values for peace and security and building a society in which the values of goodness and noble human cooperation prevail.

Establishing peace as well as renouncing conflict are also amongst the most important general goals of Islam. The Holy Qur'an posits that the desired fruit from submitting to God The

Almighty and believing in Him is the achievement of peace, security and tranquility both in this world and the hereafter. Therefore, the basic principle in the Muslim's relationship with another Muslim is the Islamic brotherhood while with a non-Muslim is peaceful, submissive, and human brotherhood.

On this substantial basis, this research aims at highlighting the approach of Islam in consolidating the values of peace and rejecting conflict. It also seeks to explain the Islamic values in the Muslim's dealing with those who believe and belong to other religions.

**Key words: Peace - renunciation of conflict - brotherhood - humanity**

## مقدمة

من السنن الإلهية خلقه سبحانه وتعالى الناس مختلفين في الأجناس والأعراق والرؤى، متفقين في نظام الخلق والإنسانية، ومن المنن الربانية أنه تعالى جعل الناس سواسية لا فرق بينهم إلا بقدر درجة التقوى من العمل الصالح والخلق الحسن، واتباع سبيل الفطرة التي فطر الناس عليها. وقد قال الله تعالى في هذا الشأن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

إلا أن الإنسان بقدر ما فطر على الفطرة السليمة والمنهج القويم، ركب فيه شيء من نوازع الشر وميل نحو الشهوات من أجل الابتلاء واختبار الإيمان، ومن ذلك الميل نحو الخصومة والنزاع، وهذا ملاحظ في الإنسانية على مر التاريخ.

فالناس مختلفون في غرائزهم ومزاجهم ونواياهم وأهدافهم، كما أنهم مختلفون في عقائدهم وموروثاتهم، مما يفضي بهم في كثير من الأحيان إلى شتى أنواع الخصومات والنزاعات. ولذلك نبه الإسلام على خطورة هذا الأمر فأمر بالجنوح نحو السلم فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: 206]، كما أوجد كثيرا من الأساليب لحصر النزاع ووأده، وأمر بالإصلاح والعفو والمساهمة في حل النزاع ورتب على ذلك أجرا جزيلا حيث قال سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ

بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿[النساء: 113].

فما هو المنهج الإسلامي في حل النزاع وترسيخ السلم؟

### أهداف البحث<sup>١</sup>

- إبراز المنهج الإسلامي القويم في ترسيخ قيم السلم ونبد النزاع.
- بيان القيم الإسلامية في تعامل المسلم مع المخالفين له في الدين.

ومن هذا المنطلق سأحاول بإذن الله تعالى دراسة قضية النزاعات العنيفة وموقف الإسلام منها، حسب المحاور الآتية:

- مفهوم النزاعات العنيفة.
- مبدأ السلام ونبد النزاع في الإسلام.
- السلم ونبد النزاع أساس العلاقة بين المسلم وغيره.
- منهج الإسلام في فض النزاعات.

### المبحث الأول: مفهوم النزاعات العنيفة

#### المطلب الأول: مفهوم النزاع في اللغة والاصطلاح

جاء في القاموس المحيط: ونازعه: خاصمه وجاذبه، والتنازع: التخاصم والتناول<sup>1</sup>. وفي اللسان: المنازعة في الخصومة: مجاذبة الحجج فيما يتنازع فيه الخصمان، وقد نازعه منازعة ونزاعاً: جاذبه في الخصومة،

1- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م، 766/1.

والتنازع: التخاصم. وتنازع القوم: اختصموا. وبينهم نزاعة أي: خصومة في حق. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم صلى يوماً فلها سلم من صلاته قال: مالي أنازع القرآن؛ أي أجاذب في قراءته، وذلك أن بعض المأمومين جهر خلفه فنازعه قراءته فشغله فنهاه عن الجهر بالقراءة في الصلاة خلفه<sup>1</sup>. أما النزاع في الاصطلاح فيمكن تعريفه بأنه: خصومة بين أفراد أو جماعات قد تقتصر على تبادل الشتائم وقد تمتد إلى التماسك بالأيدي أو استخدام أداة ما في المشاجرة أو تُفضي إلى الحرب بين الدول<sup>2</sup>.

### المطلب الثاني: مفهوم العنف في اللغة والاصطلاح

العنف: ضد الرفق. ويقال: اعتنف الأمر: أخذه بعنف. وقوم عنف، إذا لم يكن لهم بركوب الخيل رفق. وعنفوان الشباب: أوله. وعنفوان كل شيء: أوله<sup>3</sup>. قال ابن فارس: العين والنون والفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق، تقول: عُنْفٌ يعُنْفُ عنفاً فهو عنيف، إذا لم يرفق في أمره، ومن الباب: التعنيف وهو: التشديد في اللوم<sup>4</sup>. وقال ابن منظور: العنف الحرق بالأمر وقلة الرفق به، وفي الحديث: «إن الله تعالى يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف» وهو الشدة والمشدّة، وكل ما في الرفق من الخير ففي العنف من الشر مثله. وأعنف الشيء أخذه بشدة، واعتنف الشيء كرهه<sup>5</sup>. والعنيف أيضاً الشديد في السير<sup>6</sup>. أما العنف في الاصطلاح فهو استخدام القوة الجسدية استخداماً غير مشروع بهدف الاعتداء أو التدمير أو التخريب أو الإساءة<sup>1</sup>.

1- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ، 352/8.

2- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ/2008 م، 2194/3.

3- مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م، ص: 632.

4- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م، 158/4.

5- لسان العرب، ابن منظور، 257/9.

6- تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، 187/24.

فالنزاعات العنيفة إذن هي كل خصومة أو اعتداء غير مشروع، أو حالة تعارض بين أفراد أو جماعات أو دول، ويسعى كل طرف من أطراف النزاع لتحقيق أهداف متناقضة، باستخدام القوة الجسدية فعلاً أو عن طريق التهديد باستخدامها.

## المبحث الثاني: مبدأ السلام ونبذ النزاع في الإسلام

### المطلب الأول: مبدأ السلام في الإسلام

يعتبر السلام من أهم أهداف الإسلام العامة، ومبادئه الأساسية، والقرآن الكريم يصرح بأن الثمرة المرجوة من الخضوع لله سبحانه وتعالى والإيمان به هي تحقيق السلام والطمأنينة في الدنيا والآخرة، يقول رب العزة سبحانه وتعالى: ﴿فَدَجَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 17-18].

وبما أن السلام ثمرة مرجوة في الدنيا والآخرة؛ فإن الله سبحانه وتعالى عظمه فسمى نفسه باسم السلام، وأخبرنا بذلك في قوله سبحانه: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: 23] ولكي يكون هذا المبدأ راسخاً عند المسلمين؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعله تحية للمسلمين في الدنيا والآخرة، كما قال سبحانه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: 44]، واشتق للرسالة المحمدية منه اسم الإسلام الذي يعني الخضوع التام لقيم الحق والخير، التي أرشدنا الله سبحانه إليها. ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن المتتبع للفظ السلام وما اشتق منه في كتاب ربنا؛ فإنه سيجد فيه ما يزيد عن مائة وثلاثة وثلاثين آية.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف، وهذه الغاية السامية، شرع الإسلام كثيراً من المبادئ المؤسسة للسلام، ومن ذلك:

• أخوة الناس جميعاً: مهما اختلفت أوطانهم وأنسابهم ولغاتهم، فهم كلهم لآدم، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ بِتَفْؤُا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: 1]، ولا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

• التعاون وبذل قيم الخير: وهو أساس الإيمان والتفاضل بين الناس، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: 3] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»<sup>1</sup>. كما رغب الإسلام في إفشاء السلام كوسيلة للتعاون وتحقيق المحبة بين الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»<sup>2</sup>.

• تحريم كل ما يؤدي إلى العداوة والبغضاء: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُونَ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءً مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بَيسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [النساء: 9] يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: 11-12].

• التسامح والعفو في الحقوق: قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشورى: 37] وقال أيضاً: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْبَعْ بَالَتِي هِيَ

<sup>1</sup> - أخرجه الإمام البخاري، كتاب الإيمان، باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم: 13.  
<sup>2</sup> - أخرجه الإمام مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها، حديث رقم: 93.

أَحْسَنُ فَإِذَا أُلْذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ [فصلت: 33-34].

لقد كان الإسلام بهذه المبادئ وغيرها سابقا لكل الدعوات، وكل الهيئات والمنظمات على مر التاريخ، في تأسيس منظومة متكاملة من القيم المؤسسة للسلم والأمن والطمأنينة، وبناء مجتمع تسوده قيم الخير والتعاون الإنساني النبيل، وهو الأساس الصحيح للدعوة إلى السلم ومنع النزاعات والفتن.

### المطلب الثاني: تحذير الإسلام من النزاع

إن وحدة المسلمين رباط وثيق مقدس؛ لأنها قائمة على أساس من الدين والعقيدة لا تنفك عقده، فالمؤمنون إخوة يوالي بعضهم بعضا، فالله تعالى يقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: 72] ويقول أيضا: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10]. والأخوة المقررة في الآية هي أخوة الدين والحرمة، لا أخوة النسب. وأخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فإن أخوة النسب تنقطع بخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بخالفة النسب<sup>1</sup>.

ولذلك حرص القرآن الكريم على منع الفرقة والتشتت وحث على الاجتماع والإصلاح بين الناس، فنقرأ قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: 103] قال القرطبي: "معناه ولا تفرقوا متابعين للهوى والأغراض المختلفة، وكونوا في دين الله إخوانا، فيكون ذلك منعا لهم عن التقاطع والتدابير"<sup>2</sup>.

ولأجل تثبيت سبل الوحدة والسلم بين أفراد المجتمعات الإسلامية، حذر الله سبحانه وتعالى من كل ما يمكن أن يخزم هذه الوحدة من شقاق واختلاف واقتراق قد تهوي به إلى مهاوي النزاع والسقوط الحضاري. وهو الأمر الذي منعه القرآن الكريم منعا باتا، فقال عز وجل: ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فِتْنَةً لِّتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

<sup>1</sup> - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م، 322/16.

<sup>2</sup> - الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، 159/4.

رِيحُكُمْ» [الأنفال: 47]، وقال أيضا: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَقِيتُمْ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ [آل عمران: 152]، فالتنازع إذن سبب للفرقة والخصومة والفشل، مما يجعل المتنازعين لقمة سائغة لأعدائهم، فقد أوهنهم التنازع وأضعفهم في أعين أعدائهم، وفي الآيتين نهي صريح عن التنازع؛ لأن الفشل والتراجع على مستوى الأمة أو الأفراد إنما مرجعه إلى التنازع والاختلاف؛ إذ العلاقة بين الأمرين علاقة تلازمية، كعلاقة السبب بالمسبب تماماً، لا تتخلف إلا إذا تخلفت سُنَنُ الحياة الكونية.

والواقع الذي نعيشه والتاريخ الذي نقرأه يشهد بأن الفشل المقصود في الآيتين معاً إنما هو فشل في جميع مجالات الحياة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية... إذ لا يقتصر الفشل على ساحة القتال فقط كما يفهم من الآية حسب سبب نزولها.

وإذا كان القرآن الكريم قد نهى عن التنازع والخصام وحذر من ذلك، فإن السنة النبوية قد شددت النكير على داعي الاقتراق، ومفارق الجماعة المعتصمة بحبل الله، وما أكثر الأحاديث الواردة في النهي عن الفرقة، فعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فارق الجماعة شبراً، فقد خلع رِبْقَةَ الإسلام من عنقه»<sup>1</sup>. والملاحظ أن الحديث قد رفع درجة التحذير من الفرقة إلى درجة أن نفى الإسلام على من سولت له نفسه أن يزرع بذور الفرقة والتشتت بين أفراد المجتمع الإسلامي. ولا يقتصر الأمر على نفي الإسلام عن مفارق الجماعة، بل يتعدى إلى ما هو أعظم، وهو تبشيره بالنار والعذاب الشديد يوم القيامة. فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيَدُ اللَّهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ، وَمَنْ شَذَّ شَذَّ إِلَى النَّارِ»<sup>2</sup>؛ وعلى هذا فلا يجوز بأية حال من الأحوال اعتبار الفرقة والنزاع بين المؤمنين أمراً هيناً؛ لأنه إضعاف للأمة وتشتيت لجهودها، وإدخال لدواعي الفشل والنزاع بين أفرادها.

ولأجل القضاء على الفتنة والنزاع وإنحاد نارهما قبل اشتعالها، فقد عمل الإسلام على نزع بذورهما، وحماية الأمة من كل عيب وخلل، فحرم الحسد والبغضاء والكذب وكل ما من شأنه أن يكون سبباً في

<sup>1</sup> - أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند أبي ذر الغفاري، حديث رقم: 21561.

<sup>2</sup> - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم: 2167.



الخصام والفرقة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تحاسدوا، ولا تتاجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه»<sup>1</sup> وليس هناك ما هو أقصى حماية للمجتمعات من تطبيق هذه النصائح الواردة في الحديث، لأنها استئصال للخلل والعيب من جذوره، ونزع لبوادر الفتنة والنزاع قبل نشر جذورها وظهور براعمها.

## المبحث الثالث: السلم ونبذ النزاع أساس العلاقة بين المسلم وغيره

### المطلب الأول: مبدأ السلم في العلاقة بين المسلم وغيره

#### 1. علاقة المسلم بالمسلم

كانت العلاقات الإنسانية قبل الإسلام تشوبها الكثير من التوترات والنزاعات المختلفة سواء على مستوى الأشخاص أو العشائر أو القبائل، فكانت الحروب والنزاعات هي الأصل في العلاقة بين الأفراد والمجتمعات، حتى جاء الإسلام فهذب النفوس، ومنع كل ما يمكن أن يثير النزاعات بين الناس كالحد والحسد والعصبية وسائر أشكال العدوان... وفي المقابل أمر الناس بالصبر والحلم والعفو والتحمل... حتى أعاد النفس البشرية إلى فطرتها السليمة، فنزع العداوة من قلوب الناس، وعوضها بالحببة المتبادلة والأخوة الدينية، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَتْ بَيْنَ فُلُوبِكُمْ قِاصِّبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: 103]، وقال أيضا: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: 47]، فأصبحت الأخوة في الدين عقيدة وسلوك، وأضحت حدا من حدود الله لا ينبغي تجاوزها ولا انتهاك حرمتها، كما أصبحت علاقة المسلم بأخيه المسلم قائمة على الألفة والمحبة والرحمة والنصرة والسلم، ولذلك جاءت الأحاديث النبوية الشريفة تحذر من معاداة المسلم لأخيه المسلم أو ظلمه أو سبه وشتمه، ومن

<sup>1</sup> - أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله، حديث رقم: 32.

<sup>4</sup>- أحكام الحرب والسلام، ص: 18.

ومنهم أيضا فئة المستأمنين؛ وهم سكان دار الحرب من الذين يطلبون الأمان من أحد المسلمين وينالونه<sup>1</sup>. والأصل في مشروعيته قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: 6] أي؛ وإن استجارك أحد من المشركين الذين أمرتك بقتلهم، واستأمنك بعد انسلاخ الأشهر الحرم لسمع كلام الله، فأعذه وآمنه حتى يسمع كلام الله فيما له وعليه من الثواب والعقاب، ثم أبلغه مأمنه، وهو الموضع الذي يأمن فيه، وهو دار قومه<sup>2</sup>. وإذا كان من الواجب إنصاف هذه الفئات من غير المسلمين، والإحسان إليهم ودعوتهم بالتي هي أحسن، ومعاملتهم بالعدل فإن ذلك لا يعتبر ضعفا في الإسلام أو هوانا، بل هو الغاية والمنتى في الحكم والإنصاف والعدل.

أما المحاربون والمعادون للإسلام والمسلمين المتآمرين عليهم وعلى دين الإسلام فقد أمر بقتلهم ومعاملتهم بالمثل كما قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْتِنُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: 189]، وهذا إذن صريح في قتال الدفاع، لدفع هجوم العدو ورد عدوانه<sup>3</sup>، وتأمرة على الإسلام والمسلمين.

## المطلب الثاني: أسباب النزاع الأساسية

رغم أن النزاعات داخل المجتمع الإسلامي تبقى استثنائية كما ذكرنا، بسبب المنهج الرباني في التربية وتجنب العداوة والبغضاء والإصلاح بين الناس... إلا أن النزاع يبقى أمرا واردا على اختلاف أنواعه وأشكاله. ومن أجل التوصل إلى حلول لمختلف أنواع النزاعات لابد من الوقوف على بعض الأسباب العامة للنزاع، ومن ذلك:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص: 18.

<sup>2</sup> - معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ، 319/2.

<sup>3</sup> - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ، 200/2.

• **الخلاف والنزاع على المكاسب والمصالح المادية:** سواء بين الأفراد أو العشائر أو القبائل أو الدول. فعظم النزاعات بين الدول على مر التاريخ كانت من أجل السيطرة على الموارد الطبيعية والأسواق والطرق التجارية.. كما أن أغلبها على مستوى الأفراد عبارة عن نزاعات شخصية حول الملكية أو الحقوق المالية أو الديون وما شابه ذلك.

• **الخلافات الفكرية:** الخلاف الفكري إذا كان الغرض منه الوصول إلى الحق فهو أمر محمود، بل لا يمكن أصلاً اعتباره نزاعاً؛ لأنه يقوم على أساس نية سليمة خالية من التعصب، ولا ينتج عنه عداوة ولا فرقة، كما أنه سنة إلهية، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [هود: 118].

أما النزاع الفكري الذي يكون الغرض منه تحقيق مصلحة خاصة، أو إحداث فرقة بين المسلمين أو قصد منه المباهاة والعُجب، فهو مما لا يجوز؛ لأنه طريق الفرقة، وتشتت آراء الأمة، وإشعال نار العداوة والبغضاء، خاصة بين العلماء الذين هم النخبة، والخاصة ممن يقتدى بهم. لذلك حذر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هؤلاء وأمثالهم فقال: «من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار»<sup>1</sup>.

• **النزاعات الأسرية:** يمكن اعتبار النزاعات الأسرية من أهم النزاعات البشرية، كالنزاع بين الزوج وزوجته، وانعكاس ذلك على أوضاع الأبناء وبقية أفراد الأسرة.. وتحدث تلك الخلافات بسبب سوء الخلق من أحد الزوجين، أو عدم احترام حقوق الآخر.. أو الغيرة الباطلة، أو الأوضاع المالية للأسرة، أو نفور أحد الزوجين من الآخر.

• **النزاعات السياسية والحزبية:** يعتبر الصراع على السلطة والقيادة من أهم أسباب النزاع بين البشرية، وأخطرها على الإطلاق، ولا زالت هذه النزاعات تتصدر أسباب الصراع والخلاف إلى يومنا هذا.

• **النزاعات بسبب الأنانية والأزمات النفسية:** هناك كثير من الخلافات والمشاكل الاجتماعية سببها الوضع النفسي والعُقد والمشاكل النفسية للإنسان، فالحالات النفسية والتكوين الباطني للنفسية للإنسان تعتبر

<sup>1</sup> - أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب الانتفاع بالعلم والعمل به، حديث رقم: 253.

دافعا أساسا وراء سلوكه.. والكثير من المشاكل والأزمات والأوضاع الضارة بالفرد والمجتمع، ما هي إلا انعكاس لوضع غير سليم في تكوين الإنسان الفكري والنفسي.

## المبحث الرابع: منهج الإسلام في فض النزاعات

### المطلب الأول: الحوار والتحكيم

الحوار أو المحاور لغة: المجاورة ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره، وتجاوزوا: تراجعوا الكلام بينهم، وهم يتراوحون ويتجاوزون<sup>1</sup>. أما في الاصطلاح فهو: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب<sup>2</sup>.

ويستمد الحوار مشروعيته، بل وجوبه، من كثير من نصوص الوحي التي ورد فيها الحوار، ومن ذلك محاوره رب العزة سبحانه وتعالى لملائكته، ولرسله عليهم الصلاة والسلام. كما ورد الأمر به في قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَأْهَلْ أَلْكَلْبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 64]، وفي قوله سبحانه: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِلَتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125].

وبالإضافة إلى هذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم قد مارس الحوار حقاً سواء مع الصحابة رضوان الله عليهم، أو مع المشركين قبل الهجرة وبعدها. وتوضح أعلى درجات تفاهمه عليه السلام مع المشركين عن طريق الحوار في صلح الحديبية؛ حيث جنح عليه السلام إلى السلم، وقدم تنازلات عديدة رغم معارضة الصحابة رضوان الله عليهم.

<sup>1</sup> - تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي، 108/11.

<sup>2</sup> - الحوار آدابه وضوابطه، في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد بن أحمد زمزمي، دار التربية والتراث - مكة المكرمة، دار رمادي - الدمام، ط: 1، 1414هـ/1994م، ص: 22.

ومن أجل إرساء دعائم السلم والأمن داخل المجتمع الإسلامي، دعا الله سبحانه وتعالى إلى الحوار والوساطة بين الأطراف المتنازعة فقال عز من قائل: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات:9] فالخطوة الأولى من أجل الإصلاح هي الحوار، والمجادلة بالحسنى. إلا إذا تهادى أحد الطرفين فآنذاك يمكن اللجوء إلى القوة؛ لأنه لن يرتدع إلا بها.

ولكي يكون الحوار ناجحاً وفعالاً لا بد أن يقوم على أسس متينة منها:

1. الحوار باللين والحكمة والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ الْبَالِغَ هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: 125] وقال أيضاً لما أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون الذي طغى وتجبّر: ﴿إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ فَقُلْ لَّهِ فُؤَادًا لِّئَلَّا تُكَذِّبَ﴾ [طه: 43-42].

2. الصبر والاحترام المتبادل، قال تعالى في سياق مدح المؤمنين: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران: 134] وقال أيضاً: ﴿وَلَمْ يَصْبِرْ وَعَقِبَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى: 40].

3. الصدق مع المحاور لبناء الثقة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: 120].

فلا شك في أنه إذا زرعت ثقافة الحوار في النفوس البشرية فهي السبيل الأقوم لدرء آفة النزاع التي انتشرت اليوم في أنحاء المعمور.

أما التحكيم؛ فهو من الحكم، واتخاذ الحكم للقضاء والفصل في المنازعات، قال ابن منظور: وحكمه بينهم: أمره أن يحكم. ويقال: حكمنا فلاناً فيما بيننا، أي: أجزنا حكمه بيننا. وحكمه في الأمر فاحتكم: جاز فيه حكمه.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - لسان العرب، ابن منظور، 142/12.

والتحكيم في الاصطلاح هو اتخاذ الخصمين برضاها حاكما يفصل خصومتها ودعواهما<sup>1</sup>، وهو ما يفهم من قول الماوردي: "إذا حكم خصمان رجلا من الرعية ليقضي بينهما فيما تنازعا في بلد فيه قاض أو ليس فيه قاض جاز"<sup>2</sup>.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المنهج في حل النزاعات فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّيهِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 35].

ولقد كان التحكيم في بادئ الأمر هو الوسيلة الوحيدة لحسم المنازعات، حتى تكونت الوحدات السياسية ذات السيادة، فنشأ نظام القضاء لتطبيق الشرائع، ورغم ذلك ظل التحكيم قائما إلى جانب القضاء، يؤدي دورا مهما في المجتمع، فهو يجنب الخصوم كثيرا من النفقات، ويختصر الوقت والجهد، كما أن أطراف النزاع قد تلجأ إلى التحكيم حفاظا على الخصوصية التي تسود علاقاتهم، ونظرا لحريةهم في اختيار المحكمين الذين هم على درجات عالية من الخبرة التي لا بد منها لفهم طبيعة النزاع ودقة الحكم فيه<sup>3</sup>. ولا شك في أن تفضيل القرآن الكريم للحوار والوساطة والتحكيم بين الأطراف المتنازعة، وتقديمها على غيرها من الأساليب، فيه حكمة بالغة، نظرا لما تحققه من نتائج قائمة على الإقناع والحجة والبرهان على سبيل الدوام، فليس هناك ما هو أنجع من هاتين الوسيلتين لفض النزاع والحكم العدل بين الأطراف المتنازعة.

## المطلب الثاني: منهج الإسلام في فض النزاعات

<sup>1</sup> - التحكيم ومستجداته في ضوء الفقه الإسلامي، محمد الألفي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثالث عشر، العدد الرابع، 1418هـ/1997م، ص: 42.

<sup>2</sup> - أدب القاضي، الماوردي، تحقيق محي هلال السرحان، مطبعة العاني- بغداد، 1392هـ/1971م، 379/2.

<sup>3</sup> - التحكيم ومستجداته في ضوء الفقه الإسلامي، محمد الألفي، ص: 44.

الصلح هو: المسالمة بعد المنازعة، أو هو عقد يرفع النزاع<sup>1</sup>، وقد يكون بعوض أو غير عوض، فما كان بعوض كالتنازل عن القصاص مقابل ما هو أكثر من الدية، وما كان بغير عوض كالتنازل من صاحب الحق بصفة كلية أو جزئية، كما حدث زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تقاضى كعب بن مالك ابن أبي حدرد دينا كان له عليه في المسجد، فارتفعت أصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته، فخرج إليهما حتى كشف سجد جترته، فنادى: «يا كعب» قال: لبيك يا رسول الله، قال: «ضع من دينك هذا» وأوماً إليه: أي الشطر، قال: لقد فعلت يا رسول الله، قال: «قم فاقضه»<sup>2</sup>.

وقد جعل الله تعالى الإصلاح رديف التقوى والإيمان، فقال عز من قائل: ﴿بَاتِفُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: 1]، كما أن النبي صلى الله عليه وسلم جعله من أفضل الصدقات فقال: «ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة»<sup>3</sup>.

ولم يرد الأمر بالصلح بين المؤمنين وغيرهم فحسب، بل إن الإصلاح أمر مشروع ومأمور به في مجالات عدة، اجتماعية واقتصادية وسياسية، ومن ذلك:

- الإصلاح بين المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾

[الحجرات: 9]

- الإصلاح بين الزوجين، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا

جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: 127]

- الإصلاح بين أفراد الأمة، كما في قوله عز من قائل: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا

وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [البقرة: 224].

<sup>1</sup> - التعريفات، الشريف الجرجاني، ص: 134.

<sup>2</sup> - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب التقاضي والملازمة في المسجد، حديث رقم، 457.

<sup>3</sup> - أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب منه، حديث رقم:



-الإصلاح في الأموال والحقوق والوصايا، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوَصِّ جَنْبًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ

بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 182].

وإذا كان الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم - كما قلنا سابقا- هي الجنوح نحو السلام، فإن المعاهدات تكون إما لإنهاء حرب عارضة والعود إلى حال السلم الدائم، أو أنها تقرير للسلم وثبتت لدعائه لكيلا يكون من بعد ذلك العهد احتمال اعتداء، إلا أن يكون نقضا للعهد<sup>1</sup>.

ومن المعاهدات التي حدثت بين الدولة الإسلامية وغيرها، ما عاهد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود المدينة عند قدومه إليها من أجل تقرير حالة السلم بين اليهود والمسلمين، وضمن الأمن وحسن الجوار.

ولم يقتصر عليه الصلاة والسلام على معاهدة يهود المدينة فحسب، بل عاهد نصارى نجران وبني ضمره، وفعل الشيء نفسه أيضا مع قبائل جهينة.

وبالنظر إلى هذه المعاهدات وغيرها نجد أن المسلمين إنما يحاولون العيش في جو هادئ مسالٍ مع من يجاورونهم، وأنهم لم يسعوا لقتال قُط، بل كانوا دائما مؤثرين السلم على الحرب، والوفاق على الشقاق.

وإذا كانت المعاهدات أدوات من أدوات تحقيق السلام، فقد أكدها القرآن الكريم بوجوب الوفاء بالعهد، كما في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1]، وقوله أيضا: ﴿وَأَوْفُوا

بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 34].

وبهذا تكون المعاهدات واجبة الوفاء، سواء كانت بصلح دائم أو مؤقت، من غير نظر إلى مجرد المصلحة، فالمصلحة في الوفاء أكبر من المصلحة الوقتية في النقض، ودين الفضيلة يمنع الاعتداء، ونبذ العهد في ذاته اعتداء<sup>2</sup>.

### المطلب الثالث: العفو وتعويض الأضرار

<sup>1</sup> - العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي- القاهرة، 1415هـ/1995م، ص: 79.

<sup>2</sup> - العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، ص: 58.

العفو خلق إسلامي رفيع، أمر الله تعالى عباده بالاتصاف به فقال: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْبِحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: 14]، كما أمر نبيه الكريم بمعاملة أصحابه بمقتضى خلق العفو فقال سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْفَلَبِ لَاقْبَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

ولرفعة الخلق سمى الله سبحانه وتعالى نفسه بالعفو فقال: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَبُورًا﴾ [النساء: 98]، فهو سبحانه عفو عن المذنبين من عباده غفور رحيم، ولأنه كذلك يحب أهل العفو والصفح من عباده كما قال في محكم كتابه: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134].

ومن أعظم نماذج العفو التي وردت عنه صلى الله عليه وسلم، عفو عن مشركي أهل مكة في الفتح الأعظم؛ حيث روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه جمعهم في المسجد فقال: «يا معشر قريش، ما تقولون؟» قالوا: نقول: ابن أخ، وابن عم رحيم كريم، ثم أعاد عليهم القول فقالوا مثل ذلك، قال: «فإني أقول كما قال أخي يوسف:» ﴿قَالَ لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 92] نخرجوا فباعوه على الإسلام.<sup>1</sup>

وبناء على هذا الأمر الرباني والتطبيق النبوي؛ فإن العفو مطلوب شرعا لحل كثير من النزاعات الفردية والجماعية، فإذا كان الإسلام قد أمر بمعاقة الظالم وأخذ حق المظلوم، فإنه أمر بالعفو من باب أولى لتطبيب الخواطر وكبح جماح النفس وفض النزاع بالتي هي أحسن، وكذا لكسب القلوب ودرء البغضاء، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: 37] قال ابن عاشور: "وفي الترغيب في عفو المظلوم عن ظالمه حفظ آصرة الأخوة الإسلامية بين المظلوم وظالمه؛ كيلا تنل في آحاد جزئياتها بل تزداد بالعفو متانة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> - أخرجه النسائي في سننه، كتاب التفسير، تفسير سورة الإسراء، قوله تعالى: ﴿جاء الحق وزهق الباطل﴾ حديث رقم: 11234.

<sup>2</sup> - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 116/25.

كما أنه سبحانه أمر بالعتو في جانب الحدود فقال سبحانه: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ وَالْجُرُوحَ فِصَاصًا فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ، فَهُوَ كَبِيرَةٌ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: 47]، قال القرطبي: فمن تصدق به فهو كفارة له شرط وجوابه، أي: تصدق بالقصاص فعفا فهو كفارة له<sup>1</sup>.

وفي مجال فض النزاعات الأسرية قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَلَفْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَبِئْضَ مَا فَرَضْتُمْ؛ إِلَّا أَنْ يَعْفُوْنَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عَفْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوْا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 235] ومعنى كون العفو أقرب للتقوى: أن العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق؛ لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى، لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السماحة والرحمة، أقرب إلى التقوى من القلب الصلب الشديد؛ لأن التقوى تقرب بمقدار قوة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي، وفي القلب المفطور على الرأفة والسماحة لين يزعه عن المظالم والقساوة، فتكون التقوى أقرب إليه لكثرة أسبابها فيه<sup>2</sup>.

وقد يثقل العفو على الناس في بعض الحالات، ويصبح الأمر عسيرا، خاصة عندما يكون الضرر كبيرا كالقتل الخطأ، ولذلك أشار الإسلام إلى حل مناسب لرفع هذا العسر والعنت، وهو جبر الضرر عن طريق التعويض المناسب. ومن ذلك ما شرع من دفع الدية لأولياء القتيل في القتل الخطأ حيث قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَفْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَفِيَّةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: 91]. وما شرع هذا التعويض أو الدية إلا لكونها جبرا للضرر، كما قال الطاهر بن عاشور: "والدية مال يدفع لأهل القتيل خطأ، جبرا لمصيبة أهله فيه من حيوان أو نقدين أو نحوهما<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> - تفسير القرطبي، 208/6.

<sup>2</sup> - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، 264/2.

<sup>3</sup> - التحرير والتنوير، 159/5.

وبالإضافة إلى هذا، فإنه قد يتم حل كثير من النزاعات الأسرية عن طريق جبر الضرر والتعويض كما هو الشأن في طلاق الخلع المستفاد من قول الله تعالى: ﴿بَيْنَ خِفْتُمْ أَلَّا يُفِيمَا حَدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة: 227].

ولقد أحسن العلامة محمد الطاهر بن عاشور حين قال: "وبما أن في طبيعة النفوس الحق على من يعتدي عليها، فتندفع إلى الانتقام، وهو انتقام لا يكون عادلا أبداً؛ لأنه صادر عن حنق وغضب تحتل معها الروية وينحجب بهما نور العدل. فإن وجد المجني عليه أو أنصاره مقدرة على الانتقام لم يتأخروا عنه وإن لم يجدوها طووا كشحا على غيظ حتى إذا وجدوا مكنة بادروا إلى الفتك، فلا تكاد تنتهي الثارات والجنايات ولا يستقر حال نظام للأمة، فكان من مقاصد الشريعة أن تتولى هي هذه الترضية وتجعل حداً لإبطال هذه الثارات القديمة"<sup>1</sup>.

### المطلب الرابع: القتال والحرب تأمين السلام الداخلي

لم يشرع الحرب في الإسلام على أساس الظلم والعدوان والانتقام، وإنما شرع من أجل الدفاع عن حوزة الإسلام وشوكة المسلمين، قال العلامة ابن عاشور: "إن من أكبر مقاصد الشريعة حفظ نظام الأمة وليس يحفظ نظامها إلا بسد ثلمات الهرج والفتن والاعتداء، وأن ذلك لا يكون واقعا موقعه إلا إذا تولته الشريعة ونفذته الحكومة، وإلا لم يزد الناس بدفع الشر إلا شراً"<sup>2</sup> ولكي لا تبقى دول المسلمين مهانة ذليلة كان من الضروري تشريع استعمال القوة، ومن الواجب حمل السلاح ضد الأعداء في الداخل والخارج. ولذلك فقد أمر الإسلام باستعمال القوة والحرب ضد فئات ممن يجب قتالهم ومنهم:

1- المعتدون على الأمة الإسلامية والناكثون للعهود، رداً للعدوان ودفاعاً عن النفس، وهو موضع اتفاق بين جميع الشرائع والقوانين والأديان، قال تعالى مؤكداً مشروعية الدفاع عن النفس: ﴿مَنْ إِغْتَابِدْ عَلَيْكُمْ فَاغْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا إِغْتَابِدْ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 193].

<sup>1</sup> - مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار سخنون للنشر والتوزيع - تونس، 1427هـ/2006م، ص: 207

<sup>2</sup> - المصدر نفسه، ص: 206.

2- المتمرّدون وقطاع الطرق والعابثون بالأمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: 35].

3- الطغاة والظالمون، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ بَقِيَّتُوا لَآتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [سورة الحجرات: 09]. قال العلامة ابن عاشور: "فالتي تبغي هي الطائفة الظالمة الخارجة عن الحق وإن لم تقاتل لأن بغيا يحمل الطائفة المبغي عليها أن تدافع عن حقها، وإنما جعل حكم قتال الباغية أن تكون طائفة؛ لأن الجماعة يعسر الأخذ على أيدي ظلمهم بأفراد من الناس وأعوان الشرطة، فتعين أن يكون كفهم عن البغي بالجيش والسلاح<sup>1</sup>.

4- المرابون وأمثالهم من المستثمرين لجهود الفقراء والعمال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 277-278].

5- المانعون للزكاة المغتصبون لحقوق الفئات الضعيفة: وعلى ذلك قاتل أبو بكر مانعي الزكاة، وقال قوله المشهورة: "والله لو منعوني عقلاً كان يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم عليه"<sup>2</sup>.

6- المعتدون على حقوق الإنسان الأساسية كالنفس والمال والعرض: قال تعالى في شأن حفظ حق الحياة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْفِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 179]، وقال في شأن حفظ حق التملك: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ [المائدة: 40]، وقال في شأن حفظ حق العرض: ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: 19].

<sup>1</sup> - التحرير والتنوير، 240/26.

<sup>2</sup> - أخرجه البخاري في صحيحه، باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: 7284.

## خاتمة

إن الثمرة المرجوة من الإسلام لله، والخضوع المطلق له سبحانه وتعالى هي: تحقيق الأمن والسلام والعدل في الأرض ثم الفوز بالجنان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. ولأجل تحقيق هذا الهدف فإن الله تعالى جعل النزاع أمرا مرفوضا ومحرمًا لما له من سلبيات كثيرة أهمها:

- ضعف الأمة وذهاب قوتها.
- كثرة الخلاف والنزاع الفكري؛ مما يفرق الأمة جماعات وأحزاب.
- انعدام الثقة والتعاون بين الناس.
- انعدام آصرة الأخوة والمحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي الذين يفترض فيهم أن يكونوا إخوة متحابين.

ولأجل تجاوز هذه السلبيات وتقليل فرص انتشارها في المجتمع الإسلامي حرص الإسلام على إيجاد كثير من الوسائل والأساليب لحل مختلف النزاعات بين المجتمع أفرادا وجماعات، وقد تميزت هذه الأساليب الربانية بمميزات عدة منها:

- أنها ربانية المصدر.
- أنها شاملة لكل أنواع النزاعات.
- أنها تقطع مع النزاع من الأصل، فتقلع البغضاء من القلوب، وتزرع المحبة والألفة بدلها.

## فهرس المصادر والمراجع:

### القرآن الكريم برواية ورش

1. أحكام الحرب والسلام في دولة الإسلام، إحسان الهندي، دار النخيل - دمشق، ط:1، 1413هـ/1993م.
2. أدب القاضي، الماوردي، تحقيق محي هلال السرحان، مطبعة العاني - بغداد، 1392هـ/1971م.
3. تاج العروس من جواهر القاموس، مرتضى الزبيدي مجموعة من المحققين، دار الهداية، دون تاريخ.
4. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984 هـ.
5. التحكيم ومستجداته في ضوء الفقه الإسلامي، محمد الألفي، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الثالث عشر، العدد الرابع، 1418هـ/1997م.
6. التعريفات، الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983م.
7. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384 هـ - 1964م.
8. الحوار آدابه وضوابطه، في ضوء الكتاب والسنة، يحيى بن محمد بن أحمد زمزمي، دار التربية والتراث - مكة المكرمة، دار رمادي - الدمام، ط:1، 1414هـ/1994م.
9. سنن الترمذي، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، الطبعة: الثانية، 1395 هـ - 1975 م.
10. صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
11. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
12. العلاقات الدولية في الإسلام، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي - القاهرة، 1415هـ/1995م.

13. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، 1426 هـ - 2005 م.
14. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.
15. مجمل اللغة لابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية - 1406 هـ - 1986 م.
16. مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث - القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م .
17. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420 هـ.
18. معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429 هـ/2008 م.
19. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399 هـ - 1979 م.
20. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، دار سخون للنشر والتوزيع - تونس، 1427 هـ/2006 م.